بسم الله الرحمن الرحيم

د/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١/ ١٢/ ١٤٤٣هـ

قصة إلقاء رسالة عمر بن الخطاب ﷺ في نهر النيل

"رواية ودراية"

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

١٤٤٣هـ

المملكة العربية السعودية – الرياض - جوال:٠٥٠٥٤٦٩٩٤٦ alsadhan7@gmail.com

الأخ الكريم ابن العم الحبيب إبراهيم بن ناصر السدحان أبو فيصل حفظه الله تعالى وصلتني رسالتك الكريمة عبر الجوال التي تسأل فيها عن خبر عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه عندما فتح مصر ورأى عندهم عادة وهي أن نهر النيل إذا نقص ماؤه وخفَّ جريانه، ألقوا فيه فتاة يسميها بعضهم عروس النيل، وأن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أرسل إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يخبره بذلك .... إلى آخر ما جاء في الخبر، وقبل الإجابة على هذا السؤال أقول: شكر الله لك أبا فيصل فلقد فتحت لي باب بحث وفائدة في هذه المسألة وبعد هذا إليك ما كتبته في هذا البحث الذي كنت بفضل الله تعالى سبباً فيه.

نص الخبر كاملاً: كما في كتاب (فتوح مصر) لابن عبدالحكم: [لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير إنّ لنيلنا هذا سنّة لا يجرى إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى- أسماء لثلاثة أشهر - لا يجرى قليلاً ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب إليه عمر: قد أصبت، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل إذا أتاك كتابي، فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.

فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة، وقطع تلك السنّة السوء عن أهل مصر]

- [ ] بعد سياق هذا الخبر ، يقال: الكلام عن هذا الخبر من جهتين: من جهة الرواية ومن جهة الدراية، **أما من جهة الرواية**: فقد روى القصة ابن عبدالحكم في فتوح مصر، وأبو الشيخ في العظمة، واللالكائي في شرح إعتقاد أصول أهل السنة، وابن الطيوري كما في الطيوريات لأبي طاهر السلفي، وابن عساكر في تاريخ دمشق، كلهم من طريق عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن من حدثه قال:(...فذكر القصة.....) وهذا إسناد ضعيف جدا

لا يعتمد عليه، ابن لهيعة سيء الحفظ ومختلط، وعلة أخرى وهي الجهالة في من حدّث عنه قيس بن الحجاج، وقيس هذا – صدوق كما في التقريب –وقد توفي سنة ١٢٩هـ ،،،

- [ ] **وأما من جهة الدراية**، فيتبين ضعف ذلك الخبر من أمور:

١) في سيرة عمر رضي الله تعالى عنه أخبار كثيرة أقل من هذا الخبر العجيب ومع ذلك اشتهرت تلك الأخبار عند كثير ممن ترجم لعمر بينما هذا الخبر مع عظيم أمره وتوافر الدواعِ لنقله بل واشتهاره ومع ذلك لم ينقل مسنداً إلا من طريق أو طريقين فيهما ضعفٌ ولم يذكره إلا القليل، هذا وغيره مما يوهن صحة الخبر بل قد يردّه جملة وتفصيلا.

٢) قد يكون في الخبر لمز لعمر بن الخطاب فكيف يخاطب نهرا بورقة وإن كان ولا بد فلماذا لم يبين لهم مقام شأن توحيد الله تعالى خصوصا أنّ الظرف مناسب جداً.

٣) قد يكون في الخبر أيضاً لمز لعمرو بن العاص ـــ ويقال هنا كما قيل آنفاً في شأن عمر رضي الله تعالى عنهما، ويزاد أيضاً: كيف يتردد عمرو ويخاطب الخليفة لأخذ رأيه في قتل فتاة بريئة – بغير حق– إحياء لعقيدة باطلة.

٤) خبر عظيم كهذا الخبر يتكرر كل عام ولم ينقل إلا في عهد عمر، يثير شكًا بل شكوكاً في صحته.

٥) قدم إلى ديار الإسلام جماعات من أهل مصر، ولم يذكروا–حسب البحث– هذا الخبر مع عظيم شأنه، وهذا يثير شكوكًا كما تقدم آنفاً.

٦) لو كان الخبر صحيحا فلماذا لم يصلِ عمرو بمن معه من المسلمين صلاة الإستسقاء مع مناسبتها التامة للحدث.

٧) قد يكون في الخبر لمز لتاريخ المسلمين، وبيان ذلك: أنّ خبرا كهذا لو وقع لاشتهر كالشمس في رابعة النهار، ومع ذلك يقع كل سنة ولم يذكره إلا تاريخ المسلمين.

٨) مما يزيد في شكوك صحة الخبر أنَّ هذا النهر العظيم الذي يبلغ طوله كما ذُكر (٦٦٩٥ كم) و يمرُّ على تسع دول تقريبا وهي:اوغندا، تنزانيا، رواندا، بوروندي، الكونغو ،كينيا، أثيوبيا، إريتريا، السودان، مصر فهذا الدول من دولة المنبع إلى قبل دولة المصب في البحر لم تذكر تواريخها (حسب علمي) هذا الخبر العظيم مع أهميته الكبرى لتاريخ واقتصاد تلك الدول، فمثل هذا يثير استفهاما! بل استفهامات!!.

٩) خبر عظيم كهذا يكون شائعاً ظاهرا للعيان يؤثّر على حياة الناس ومزارعهم واقتصادهم ومع ذلك لم يذكر إلا من طريق أو طريقين هذا مما تأباه وترده قواعد وأُسس علم التاريخ والاجتماع وتاريخ البلدان والأقاليم خاصة.

(((و ممن أبطل القصة وأطال في الإستدلال والتعليل عليها، عبد القادر حمزة باشا- ولعله أحسن من تكلّم في إبطال هذه القصة – وذلك في كتابه (على هامش التاريخ المصري القديم) وجاء في ضمن كلامه: من أمثلة الخرافات المكذوبة على المصريين –ثم ساق القصة كاملة- وقال بعدها هي أكذوبة على الرغم من التفصيلات التي ساقها ابن عبد الحكم، وقال أيضاً: وقد شاعت هذه القصة وتناقلها الكتاب أكثر من ١٠٠٠ سنة وهي لا تزيد في حقيقتها على أن تكون أكذوبة من الأكاذيب المدّعاة على المصريين **ثم ساق أدلة بطلان القصة ومنها:**

١- تاريخ مصر القديمة أصبح معروفا ولا نجد فيه أثراً لهذه القصة وقد دوَّن المصريون فيما دونوه عن النيل أنهم رفعوه إلى صف المعبودات وعنوا بفيضانه فجعلوا له مقاييس يقيسونه بها كل سنة كما نقيسه الآن وكانوا يسجلون في سجلات خاصة درجات علوه وانخفاضه في أوقات معينة من كل سنة كما نسجلها الآن وقد سجلوا هذه الدرجات على بعض حجارة المعابد... إلى أن قال: أضف إلى ذلك أنه فيما دونوه عن النيل ذكرا لسني جدب ومجاعة رزئت بها مصر بسبب انخفاض الفيضان وهم لم يذكروا في ذلك عروساً قُدِّمت أو كانت تقدم ولو أن هناك عروسا لوجب أن تذكر في خلال ذكرهم تلك السنين.

٢- كان المصريون يقيمون حفلات عند توقّف النيل أو ضعف جريانه يدعون فيه النيل إلى الفيضان ثم ذكر أنّ ثلاثة ملوك حضروا ثلاث احتفالات ومع أهمية تعدّد هذه الاحتفالات وحضور بعض ملوك مصر لها في عصور ملكهم مع هذا كله لم يذكر خبر إلقاء فتاة في النيل لا من قريب ولا من بعيد.

٣- نشيد النيل، وهو نشيد فيه وصف أحوال النيل تفصيلا ولم يرد فيه إشارة إلى إلقاء فتاة في النيل عند نقصه أو توقّفه لو قيل بتوقّفه.

٤- وذكر أيضاً أنّ مصر كانت في عهد عمر، بلاد مسيحية ولم يبق فيها من مظاهر الوثنية شيء، وإلقاء فتاة في النيل داخل في مجمل العقائد الوثنية، ثم قال ما نصه: (فإذا قيل والقول غير صحيح أن العقيدة الوثنية كانت تبيح تقديم عروس للنيل فكيف يمكن أن يقال إن العقيدة المسيحية والحكومة المسيحية أقرَّتا تقديم هذه العروس لا شك أن القصة مخترعة وأن ابن عبد الحكم لم يزنها حين رواها).

٥- التمحيص التاريخي يثبت أن لا وجود لعروسٍ كانت تلقى في النيل، فكلمة (عروس النيل) ليست اختراعا محضاً بل هي كلمة كان المصريون يقولونها ويريدون منها أرض مصر وكان معناها عندهم أنّ النيل متى فاض دخل على أرض مصر كما يدخل الرجل على عروسة ولا يبعد أن يكون هذا المعنى المجازي هو الذي أدى مع الزمن إلى توهم أن هناك عروسا كانت تلقى هذا هو التمحيص التاريخي يثبت أن لا وجود لعروسٍ كانت تلقى في النيل.

٦- التمحيص العقلي يدل على أنّ رواية ابن عبد الحكم لا تستقيم ولا يمكن أن تقبل أفلا تراه يقول: إن النيل بقي لا يجري قليلا ولا كثيرا ثلاثة أشهر فهل يمكن أن يبقى في مصر أثر للحياة إذا جف ماء النيل فلم يجر قليلا ولا كثيرا ثلاثة أشهر متوالية وهل من المعقول أن يجري النيل بعد ذلك دفعة واحدة وفي ليلة واحدة على أثر إلقاء البطاقة ستة عشر ذراعا بعد أن كان جافا لا يجري قليلا ولا كثيرا))) ثم ختم مقاله بقوله : فإذا تيسر لكتابي هذا أن يساهم ولو بنصيب ضئيل في جلاء هذه الحقيقة فذلك ما أغتبط به وهو كل ما أبغى .

- [[**بعد هذا أقول:** وقفت على مقال نفيس عن هذا الخبر (في مجلة الرسالة المصرية ج٦ ،،، ص٣٨٧) للأديب الكبير زكي مبارك وهو متعلّق بمقال عبد القادر حمزة باشا، تحليلاً وتعليقاً وموافقة[1] لما قرره عبدالقادر باشا، وقد أكّد فيه زكي مبارك بطلان هذه القصة وساق بعض الأدلة على ذلك ، وقد صدَّر مقاله بقوله:

[1] مما يحسن ذكره هنا كلام لطيف للأديب زكي مبارك عن مقال عبدالقادر، قال فيه:

(وكذلك ينقسم كتاب عبد القادر حمزة إلى حشو ومحشو، فالحشو هو الهامش، والمحشو هو الأصل، ولم أجد كتاباً يكون فيه الهامش أغزر من الأصل قبل أن أعرف كتاب عبد القادر)،،،(فأرجو الطلبة أن يلتفتوا إلى هامش هذا الكتاب أكثر من التفاتهم إلى الأصل، لأن عبد القادر جرى في الهوامش على فطرته الأصلية من التعقب والاستقصاء فأتى بالأعاجيب. وهل برع عبد القادر إلا في الهوامش؟)،،،(أخذ عبد القادر يدور ويدور حتى صير هذه الأسطورة أضعف من وهم الخيال).

الأسطورة البلهاء قد انتقلت من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل حتى احتلت بعض الكتب المدرسية في المدارس الثانوية حتى دخلت في منهج الاحتفال بوفاء النيل بصورة رمزية ،،، **ثم ذكر مجموعة من التعليلات يردُّ بها تلك القصة فمن ذلك:**

١/ من المستحيل أن يتوقف فيضان النيل على عروس تلقى إليه.

٢/توقف النيل ثلاثة أشهر فيه هلاك لأهل البلد.

٣/ لم يجد لهذه الخرافة سنداً تعتمد عليه ولو كان لها أصل لسُجّلت في بعض ما سُجّل من أخبار الفيضان.

٤/لو كان في هذه القصة أصل لعدّ فقدان عروس النيل سببا في بعض ما أصاب مصر من مجاعات.

٥/ لو كان لها أصل لذكرت في (نشيد النيل) وهو نشيد قد استوفى خصائص هذا النهر العظيم وتحدث عما أطاف به من أوهام وأضاليل ولو كان لها أصل لذُكرت عروس النيل بين الهدايا التي كانت تقدم إليه في الحفلات فلم يبق إلا أن تكون خرافة خلقها وهم القصاص ثم تبعهم ابن عبد الحكم بلا تمحيص ولا تحقيق]] **هذا غاية ماذكره الأديب زكي مبارك رحمه الله تعالى، ومما يحسن ذكره في هذا المقام ثلاثة أمور:**

(**الأول**) ما ذكره السبكي في الطبقات الكبرى٢/٢٢٦ فقد انتصر للقصة ، وقال بعد سياقها ما نصه: [[فَانْظُر إِلَى عمر كَيفَ يُخَاطب الماء ويكاتبه ويكلم الأَرْض ويؤدبها وإِذا قَالَ لَك الْمَغْرُور أَين أصل ذَلِك فِي السنة قل أَيها الْمُتعثر فِي أذيال الجهالات أيطالب الْفَارُوق بأَصل وإِن شئْت أصلا فهاك أصولا لَا أصلا واحدا أَلَيْس قد حَنَّ الْجذع إِلَى الْمُصْطَفى صلى الله عَلَيْهِ وسلم حَتَّى ضمه إِلَيْهِ أَلَيْس شكى إِلَيْهِ الْبَعِير مَا بِهِ أَلَيْس فِي قَصَّة الظبية حجَّة والْأُصول فِي هَذَا النَّوع لَا تنْحصر وسنذكر مَالك أَن تضمه إِلَى هَذَا فِي ترْجمَة الإِمَام فَخر الدّين فِي مسْأَلَة تَسْبِيح الجمادات حَيْثُ نرد عَلَيْهِ ثمَّ إِنْكَاره لذَلِك ، ومنْهَا قصَّة النَّار الْخَارِجَة من الْجَبَل، كَانَت تخرج من كهف فِي جبل فتحرق ما أَصَابت فَخرجَت فِي زمن عمر فَأمر أَبَا موسى الأشعرى أَو تميما الدارى أَن يدخلها الْكَهْف فَجعل يحبسها بردائه حَتَّى أدخلها الْكَهْف فَلم تخرج بعد قلت ولَعَلَّه قصد بذلك منع أذاها، ومنْهَا أَنه عرض جَيْشًا يبْعثهُ إِلَى الشَّام فعرضت لَهُ طَائِفَة فَأعْرض عَنْهُم ثمَّ عرضت عَلَيْهِ ثَانِيًا فَأعْرض عَنْهُم ثمَّ عرضت ثَالِثا فَأعْرض فتبين بِالْآخِرَةِ أَنه كَانَ فيهم قَاتل عُثْمَان وقَاتل علي]] انتهى المراد من كلام السبكي، وهذا الكلام من الإمام السبكي،

لايرد في هذا المقام لأنَّ البحث ليس في شأن إثبات المعجزات النبوية فهذا قد صحت أخبارا بذلك وتواترت بل صنف أهل العلم في ذلك مصنفات مستقلة ويقال أيضا وليس الشأن هنا في إثبات الكرامات ونحوها عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وإنما الشأن في خبر قصة ذاعت واشتهرت مع عدم الطريق الصحيح لثبوتها ، ناهيك عما يرد عليها من اعتراضات كثيرة .

(**الأمر الثاني**) [[ماجاء في كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للتقي الفاسي: ونص الخبر: أنَّ الشيخ أبا عبدالله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي قدم من المدينة إلى مصر، ووافق وصوله وقتا كان النيل فيه قد أبطأ في جريانه وقلق الناس لإبطائه واتفق أنَّ السلطان ركب البحر لينظر الأحوال وكان السلطان قد علم بوصول الشيخ محمد القرطبي إلى مصر فأتاه وحمله معه في المركب وشكى إليه ما الناس فيه من قلق بسبب إبطاء النيل ففتح الشيخ جرابا كان معه فيه تمر وقال: هذا تمر من نخل زرعة عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه بيده فأخذ السلطان من ذلك التمر حفنة ثم قال: اللهم إنَّ عمر بن الخطاب كتب إلى نيل مصر: تطلع فطلع اللهم إن هذا من آثار عمر ثم رمى بتلك الحفنة في النيل فما أصبحوا من الغد إلا والنيل قد عمَّ البلاد جميعها]], وهذا يلحق في الحكم عليه بأصل القصة ويظهر لي أنّ بعض القصاص أو الوعاظ توسَّع في توظيف تلك القصة حتى فَرَّعوا عليها وجاراهم في ذلك بعض المؤرخين والكُتّاب.

(الأمر الثالث) فوائد متعلّقة بالقصة:

١= هذه القصة خصها أحمد شوقي بقصيدة.

٢= شكك فيها العقاد في كتابه (عبقرية عمر).

٣= جاء في كتاب (كنز الدرر وجامع الغرر) لابن الداوداري: أنه وقع على خبر القصة في كتاب يسمى (تحفة القصر في عجايب مصر) منسوب إلى العاضد وهو آخر من تولى الأمر من الفاطميين: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عندما بلغه خبر النيل أنفذ قطعة من أدم مكتوب فيها بخط يده أو بخط علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

ختاما: من خلال ما تقدّم يظهر لي أنّ الخبر لايصح ويُعَكّر على صحته تلك الإعتراضات الكثيرة – التي نقلتها والتي ذكرتها، وتتضمن اعتراضات سندية ومتنية وتَاريخية وعقلية واجتماعية وغير ذلك، والله تعالى أعلم بالصواب،،، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بحث ذلك وقيده/ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان ١/١٢/١٤٤٣هـ**

****مراجع البحث:**

[•فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢/ على هامش التاريخ المصري القديم، لعبدالقادر حمزة باشا • تاريخ دمشق لابن عساكر٤٤/٣٣٦ • كنز العمال ٣٥٧٥٩ • كنز الدرر وجامع الغرر ٦/٣٥٢ •فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم٣/٤٧ • مرآة الزمان في تواريخ الاعيان ٥/٣٢٤ • تفسير النيسابوري ٤/٤١٦ • جامع الأحاديث للسيوطي ٢٨/ ٣٦٨ رقم ٣١٢٨٨ • مسند الفاروق لابن كثير ١/ ٣٢١ رقم ١٨٤ •الطيوريات للسلفي١٣ / ١٠٩٦ •حسن التنبه لما ورد في التشبه للغزي ٩/ ١٠٩ رقم ٧٧ •محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٢/٦٤٤ •البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٠٢ •مروج الذهب للمسعودي ١/٣٤٩ •معجم البلدان لياقوت الحموي٥/ ٣٣٥ •العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي ٥/ ٣٣٧ •تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٧ •شرح أعتقاد أصول أهل السنة للالكائي ص ١٢٦ رقم ٦٦ •المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٤ / ٢٩٤ •طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٣٢٦ •العظمة لأبي الشيخ ٤/١٤٢٤ رقم٩٣٧٣].

– **تنبيه:** ليعلم القارئ الكريم أن بحثي في المصادر والمراجع كان من خلال النت في المكتبة الشاملة.

المملكة العربية السعودية – الرياض – جوال:٠٥٠٥٤٦٩٩٤٦ alsadhan7@gmail.com